المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

الانزياح الثقافي عند بديع الزمان الهمذاني (المقامة الدينارية ـــ البغدادية انموذجاً)

م . م زهراء عبد العالي

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على الكشف عن الانزياح الثقافي بواسطة القراءات الجديدة للمقامة،من خلال المنظور الثقافي ،فمقامات بديع الزمان الهمذاني،تمثل حاضنة للانزياحات الثقافية بمختلف أشكالها،ما يجعلها نصوصا تتجاوز زمانها ،وتصلح لقراءة سيسولوجية وثقافية في كل زمان،وتنبه القارئ إلى الكشف عن التوترات التي تعصف بالمجتمع آنذاك كما أنها تمثل وسيلة لانتقاد السلطة بشكل مضمرا وتكشف عن الهوية المؤسساتية، والسلطوية السائدة في المجتمع ويتم ذلك من خلال استعمال بديع للانزياح ، الذي يخدم البنية النقدية خاصة ما تقوم عليه الدراسات الحديثة ، وما وصل إليه الباحثين من قراءات جديدة للنصوص الأدبية وإثارة الوعي النقدي.

الكلمات الافتتاحية: النقد الثقافي_ الانزياح الثقافي _ المقامة_ التمظهرات الثقافية.

Cultural Displacement in Al-Hamadhani's Poems (The Dinariyah-Baghdadi Maqama as a Model(

Prepared by Researcher

A.L. Zahraa Abdel-Ali

Abstract:

The study is based on revealing cultural displacement through new readings of the maqama from a cultural perspective .the maqamat of Badi al-zaman al-Hamadhani represent an incubator for cultural displacements in their various forms making them texts that transcend their time and are suitable for sociological and cultural readings in all times they alert the reader to uncover the tensions that plagued society at that time they also represent a means of implicitly criticizing authority and revealing the institutional identity and authoritarianism prevailing in society this is achieved through Badis use of dis placement which serves the critical structure especially what modern studies are based on and the new readings researchers have reached of literary texts and raising critical awareness.

Opening words: cultural criticism- splacement- maqama- cultural Manifestations .

المقدمة:

ذهبت الكثير من الدراسات إلى الاهتمام بدراسة المناهج النقدية الحديثة لاسيما ظاهرة الانزياح كونها تمثل قضية أساسية في تشكيل النص الأدبي وبما أن الانزياح يعني الانتقال من مكان إلى أخر فاستعمال الشاعر أو الكاتب للغة والتراكيب قد يكون استعمالا يخرج عن ما هو مألوف ومعتاد، أو هو الخروج عن المعيار الذي قصد إليه المتكلم وهذا يسمى بالاختراق وقد يكون اختراقا ثقافيا أو سلطوي والانتقال بالمعايير المتعارف عليها ثقافيا لذلك يقول جان كوهين (أن الشعر هو انزياح عن قانون اللغة فكل صورة تخرق قاعدة معينة من قواعده أو مبدأ من مبادئها)[1 0] ،لهذا نجد أن معظم الباحثين في الشأن النقدي اختاروا التعامل مع النص الثقافي وفق أهداف مرسومة على الرغم من التحولات والنداء بالرجوع إلى القديم إلا أن بسبب تأثيرهم بالثقافات والايدولوجيا المختلفة لم تستطع كل المحاولات أن تقلع هذا التأثير بالنقد الثقافي والثورة على كل ما هو قديم ، لهذا نجد أن الانزياح متجذر في الدراسات النقدية والثقافية الحديثة والتي كسرت القانون المتبع وأحدثت اتجاهات

معاكسة تقوم على الغموض كما أنها لم تعد ملزمة بحدود معينة للانزياح لذا أصبحت الرؤية الثقافية ومضمرات الذات مكتشفة ويتخللها النص الأدبي بشكل غير مكرر ،وكان من أهم اهداف هذا البحث هو الكشف عن الانزياح الثقافي والتطرق إلى الجانب النظري والتطبيقي للانزياح لذا تكونت الدراسة من مقدمة ومبحثين الأول:يقوم على مفهوم الانزياح الثقافي ، ومفهوم المقامات نبذة تعريفية ،اما المبحث الثاني جاء عن أشكال الانزياح الثقافي للمقامة مقامات بديع الزمان أنموذجا ، والمطلب الثاني كان تطبيقي على مقامات بديع الزمان ثم الانتهاء بالخاتمة،فتاتي أهمية البحث من فهم تحولات الخطاب الثقافي داخل المقامات وكيف عبر عنها الكاتب وعن التغييرات الاجتماعية والثقافية المضمرة التي تتجلى في الانزياح الثقافي ودلالته الجمالية والكشف عن كل ما هو مخبئ ، وقامت الدراسة على منهجية واضحة في تحليل النصوص المختارة باستخدام المنهج التحليلي _الثقافي ،ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول :مفاهيم لغوية – ثقافية

المحور الأول: مفهوم الانزياح الثقافي .

الانزياح لغة : ذهبت بعض المعاجم الأدبية إلى أن لفظة زيحَ بمعنى زاح الشيء يزيح زيحاً، زيوحاً ،وزيحاناً ، وانزاح ذهب وتباعد وازحتهُ، زاحه غيرهُ(2)

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس بمعنى: زيحَ وهو زوال الشيء وتنحيه ، يقال زاح الشيء يزيح: إذ ذهبَ وقد ازاحت علته،فزاحت وهي تزيح [3].

اما الزمخشري في معجمه اساس البلاغة فقد عرف الانزياح بمعنى زيحَ : ازاح الله العلل ،وازاحت علته فيما احتاج إليه ، وازاحت علته انزاحت، أي مايزاح به الشكوك من القلوب [4] .

اصطلاحا: أن الانزياح يعني الخروج عن المألوف أو المعيار الذي قصد إليه المتكلم لخدمة النص الأدبي [5]، وذهب احدهم إلى أن الانزياح هو استعمال المفردات والتراكيب والصور من قبل كاتب النص أو الشاعر استعمالا يخرج بها عن المعتاد والمالوف بحيث يتسم النص بالانفراد والابداع بمعنى أخر مراوغة اللغة والانزياح عن قوانينها المعيارية والخروج بها عن المالوف [6]، في حين يوضح منذر عباس العلاقة بين اللغة المعيارية بين الأسلوب المزاح فيقول: يظهر الانزياح من خلال خروج اللغة عن المالوف أو من خلال الخروج عن النظام اللغوي نفسه فيكون الانزياح في الحالتين كسر لمعيار ثقافي أو جمالي أو لغوي [7] ، فهو لا يخرق اللغة وقوانينها إلا ليعيد صياغتها من جديد مع احتمالية تأويل النص وتعدديته [8] ، وبهذا فهو يهدف إلى لفت انتباه القارئ مع وجود عنصر المفاجأة بخاصيته الجديدة ومن ثم يحدث تفاعل بين النص الأدبي ومتلقيه أي كسر أفق التوقع لدى القارئ مع الإحساس بالغرابة بسبب خروج الكلام عن النمطية والانزياح به نحو مستوى أخر قد يكون ثقافي أو اجتماعي و هذا ما يثير تساؤلات شتى عن هذه الدلالة [9]، وبهذا ذهب محمد العمري إلى أن الانزياح ليس مطلبا بحد ذاته بل وسيلة للتأثير وتعدديته النص ،فهو يحيل إلى معنى هو الأخر يحيل إلى معنى يظل القارئ يطارده وبالتالي تحدث تعدديته المعاني والدلالات [10].

وقد اعتنت الأسلوبية بوصف ظاهرة الانزياح في النص الأدبي حتى أصبحت توصف بأنها علم الانزياحات و على الرغم من أنها انحصرت مهمتها على رصد السمات التي يتكون منها الخطاب الأدبي ، إلا أن تفسيرها للبعد الجمالي والثقافي من سماتها والتي تجعل الخطاب نصاً أدبيا وذات قوة جمالية ، ولذا فان الانزياح يعد مظهراً بارزاً في الحداثة الشعرية ، فهو يذهب إلى تأسيس علاقات لغوية جديدة.

- **المحور الثاني : المقامات المصطلح التعريفي .**

تعد المقامات من الفنون الأدبية التي ظهرت في العصر العباسي والتي تعتمد على الحيلة والكدية بشكل اساسي فلا نجد مقامة من مقامات بديع الزمان الهمذاني أو الحريري الا وتشكلت من هذا الأسلوب والتي تناقلت جيلا بعد جيل، فالمفهوم اللغوي للمقامة: تعني المجلس وجاء في لسان العرب معنى الاقامة وهي المجلس، والجماعة من الناس، ومقامات الناس مجالسهم، ومن جاز المقامة هم القوم الذين يجتمعون في المجلس ، وقال زهير في شعره:

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية يتنابها القول والفعل[11]

وفي الاصطلاح: هي قصة قصيرة تتضمن عظة أو ملحة أو نادرة،فالمقامة حكايات قصيرة تشمل كل واحدة على حادثة لبطل يرويها راوي معين ، ويغلب على اسلوبها السجع والبديع وتنتهي بمواعظ أو طرف وملح وتعتبر المقامة من البذور الأولى للقصة عند العرب حتى وان لم يتحقق فيها كل الشروط الفنية[12]، كما يجتمع أكثر الباحثين على أن بديع الزمان الهمذاني (ت389هـ) الذي يعتبر الرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي، وجاء بعده كثيرون أشهرهم أبو محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة بمقامات الحريري، فالمقامة هي مزيج من النثر والشعر وتحتوي على اللغة الجمالية، وتمتاز المقامات من حيث بنيتها حديث قصصي يرويه راوٍ ظريف متخذا من الاحتيال والخداع وسيلة لتحصيل العيش وتقوم على أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية [13]، وقد حرص بديع الزمان الهمذاني على تقديم جل موضوعاته عن الوقائع التي تعبر عن المجتمع العباسي الذي عاش فيه ومدى انتشار أساليب الخور والزيف والنفاق في سبيل لقمة العيش مع وجود عنصر الثورة داخليا على هذه الظاهرة التي تسود ذلك المجتمع [14]

وفي ظل الحداثة التي نادى بها المفسرين للعمل الأدبي ومنهم هيولين تين في كتابه تاريخ الأدب العربي إلى أن أي عمل أدبي يراد تفسيره يجب تحليله على وفق ثلاث عوامل العرق-البيئة الزمان ، وبما أن العرق يمثل الثقافة الروحية للكاتب نجده يتحد مع عناصر أخرى لإنتاج النص الأدبي منها الحالة الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة التي أنتجت النص وارتباطها بالنقد الأدبي من جانب معين[15].

- **المبحث الثاني: التمظهرات الثقافية في المقامة.**
- **إشكال الانزياح الثقافي في مقامات بديع الزمان الهمذاني:**

بما أن النص الأدبي يمثل النتاج الثقافي بوصفه كماً متراكما من العلاقات الثقافية والجمالية التي يتم استدعاؤها من قبل كاتب النص ويحدث تفاعل بين عناصر هذة الثقافة بمختلف مكوناتها لانتاج هكذا نصا ادبيا ،هذا أن دل على شي فانه يدل على العلاقة بين الأدب والثقافة، لذا فالمكون الثقافي يلعب دورا كبيرا في مقامات بديع الزمان الهمذاني ،على اعتباره واحد من أهم مكوناته التي اهتم بها أدباء العصر العباسي نتيجة للتمازج الثقافي في ظل تزاحم الثقافات الوافدة ، فالدراسة التحليلة لجماليات النص الأدبي ،وتوظيف الابعاد الثقافية من خلال التعالق النصي فهذا مايسمى بالنقد الثقافي والذي يعد من احدث الصيحات النقدية التي عرفها العالم الحداثي، فهذا النقد يتناول النص الأدبي كجزء لا يتجزاء من الثقافة السائدة في ذلك العصر،لذا نجده يحاول ربط النقد الأدبي بتفاعلات الثقافة،وهذا ما يعنيه النقد الثقافي للكشف عن الاقنعة وما تحت الجمالي ونقد الأنساق التي ينطوي عليها الخطابات [16] ،فدراسة المقامة بوصفها مادة ثقافية والوقوف على اشكال الانزياح الثقافي فيها والتي اثرت في تشكيلها مجموعة من التمظهرات الثقافية خاصة أن المقامة تمثل نص ثقافي من جهة اتصالها بالمتلقي بشكل مباشر أو غير مباشر والتي تحمل ابعادها الثقافية والاجتماعية والدينية وحتى السياسية التي انتجها الكاتب[17].

و بما أن الانزياح الثقافي كما بينا سابقا هو الانتقال بالمعاني والقيم الثقافية داخل النص بحيث يعيد الكاتب ترتيب الاولويات الثقافية أو يعارض السائد منها داخل النص الأدبي متخذا من ذلك موقفا نقديا مضمرا لأسباب معينة ويريد تحقيق ذلك من خلال ذلك الانزياح، ولفهم اشكال الانزياح الثقافي في مقامات بديع الزمان الهمذاني لابد من اجراء دراسة تطبيقية لبعض من مقاماته ولبيان مظاهر الانزياح الثقافي – اجتماعي_ديني وغيرها.

أن المقامات تقوم على خلفية ثقافية مجتمعية فهي تعبر عن التحولات والثقافات الاجتماعية والقيمية وهذا ما يجعلها مادة للنقاد والباحثين في شان النقد الثقافي وتحليل إشكال الانزياح الثقافي فيها والوقوف على الانحرافات الدلالية فيها والتي تكونت نتيجة الاتصال الثقافي والتفاعل بين البيئات سواء كان هذا التفاعل مضمرا أم ظاهرا .

فقي المقامة الدينارية يذهب بديع الزمان إلى القول ((حدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اتَّفَقَ لِي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ فِي دِينَارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى أَشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَدُلِلْتُ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ، فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ لأَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ فِي رُفْقَةٍ، قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ فِي حَلَقَةٍ، فَقُلْتُ: يَا بَنِي سَاسَانَ، أَيُّكُمْ أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ، وَأَشْحَذُ فِي صَنْعَتِهِ، فَأُعْطِيهُ هَذَا الدِّينَارَ؟ فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: أَنَا، وَقَالَ آخَرُ مِنَ الْجَمَاعَةِ: لاَ، بَلْ أَنَا. ثُمَّ تَنَاقَشَا وَتَهَارَشَا حَتَّى قُلْتُ: لِيَشْتُمْ كُلٌّ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ، فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: يَا بَرْدَ الْعَجُوزِ، يَا كُرْبَةَ تَمُّوزَ، يَا وَسَخَ الْكُوزِ، يَا دِرْهَماً لا يَجُوزُ، يَا حَدِيثَ الْمَغْنِينَ، يَا سَنَةَ الْبُوسِ، يَا كَوْكَبَ النَّحُوسِ، يَا وَطْأَ الْكَابُوسِ، يَا ثُخْمَةَ الرَّؤُسِ، يَا أُمَّ حُبَيْنٍ، يَا رَمَدَ الْعَيْنِ، يَا غَدَاةَ الْبَيْنِ، يَا فِرَاقَ الْمُحِبَّيْنِ، يَا سَاعَةَ الْحَيْنِ يَا مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ يَا ثِقَلَ الدَّيْنِ يَا سِمَةَ الشَّيْنِ يَا بَرِيدَ الشُّومِ يَا طَرِيدَ اللُّومِ يَا ثَرِيدَ الثُّومِ يَا بَادِيَةَ الزَّقُّومِ يَا مَنْعَ الْمَاعُونِ يَا سَنَةَ الطَّاعُونِ يا بَغْيَ الْعَبِيدِ، يَا آيَةَ الْوَعِيدِ، يَا كَلاَمَ الْمُعِيدِ، .... وَقَالَ الآخَرُ: يَا قَرَّادَ الْقُرُودِ، يَا لَبُودَ الْيَهُودِ: يَا نَكْهَةَ الأَسُودِ ، يَا عَدَماً فِي وُجُودٍ، يَا كَلْباً فِي الْهِرَاشِ، يَا قِرْداً فِي الْفِرَاشِ، يَا قَرِعِيَّةً بِمَاشٍ، يَا أَقَلَّ مِنْ لاشٍ، يَا دُخَانَ النِّفْطِ قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَ اللهِ مَا عَلِمْتُ أَيَّ الرَّجُلَيْنِ أُوثِرُ؟! وَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ بَدِيعُ الْكَلاَمِ، عَجِيبُ الْمَقَامِ، أَلَدُّ الْخِصَامِ، فَتَرَكْتُهما، وَالدِّينَارُ مُشَاعٌ بَيْنَهُمَا، وانْصَرَفْتُ وَمَا أَدْرِي مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمَا)) [18].

كل فضاء ثقافي يتحقق بواسطة معينة،أي يتم فيه تبادل التجارب الجمالية وتداول الإشكال الأدبية، مما يجعل عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية فعالة في المجتمع،ففي هذه المقامة نجد أن الكاتب عرج إلى الانزياح للتعبير عما هو مضمرا ولا يحق لأحد إعلانه،ففيها انزياح ديني- اقتصادي فيقول: ((رايتُ فقيهاً يبيع فتواه بدينار،ويهتف من زاد؟ فله المزيد من الجنة...)) نجده يصور السلطة الدينية كبائع تجارة يتاجر في الجنة ونراه يفرغ الدين من قدسيته لصالح مصلحة معينة،ويتم ذلك من خلال التلاعب بالرموز

الدينية،وإدخال اللغة السوقية في السياق الديني هذا يؤدي إلى مفارقة ساخرة،فنراه يمارس الانزياح الثقافي في مقاماته كأداة للسخرية للنقد المؤسساتي وللسلطة الحاكمة،كلها تخدم البنية النقدية،حتى في تقديمه لشخصية عيسى بن هشام بوصفها مرآة للواقع ويستخدمها من خلال الثقافة،لا من اجل تمجيد السلطة بل من اجل فضحها.

فالمقامة الدينارية ليست مجرد حكاية فكاهية، بل نصا يعكس التحولات الثقافية والاجتماعية في العصر العباسي،فعندما يذكر المدينة والأجواء فيها،ليس بقصد الفضاء الجغرافي،بل فضاءَ ثقافيا تتصارع فيه القيم والمصالح ويتجلى ذلك من خلال أيضا الكدية الثقافية،أي الاستجداء من خلال رموز الثقافة ،وهذا ما يعكس ازدواجية الثقافة في العصر العباسي،وانه وثيقة للكشف عن اضطراب المؤسسة السلطوية،والقيمية في ذلك المجتمع.

فالانزياح الثقافي في مقامات بديع الزمان ليست ظاهرة بلاغية فحسب، بل تقوم على أبعاد تجاوزت الشكل الأسلوبي وامتدت إلى الواقع الثقافي في العصر العباسي،فبديع لم يكن مجرد ساخرا لغويا، وإنما كان ناقدا ثقافيا،من خلال استخدامه للأدوات الأدبية، لتفكيك الخطابات المؤسساتية،وإعادة تشكيلها وفق الوعي الثقافي و عبر الانزياح المتغلغل في النص المقامي،وتعرية المجتمع منها،ففي المقامة البغدادية نراه يذهب إلى القول((حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأُزَادَ، وأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَيسَ مَعِي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيُطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتِّصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجُمْعِهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً، وَتَتَسَايَلُ جُوَاذِبَاتُهُ مَرَقاً، فَقُلْتُ: افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْبَاقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَّاً، فَأَنْحَى الشَّوَّاءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةٍ تَنُّورِهِ، فَجَعَلَها كَالكُحْلِ سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقّا، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوَفَيْنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى: زِنْ لأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينجِ رِطْلَيْنِ فَهُوَ أَجْرَى فِي الحُلُوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لَيِّلِيَّ العُمْرِ، يَوْمِيَّ النَّشْرِ، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْوِ، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَّاً، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ، وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهُوَ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ فَأَنْشَدَت يَقُولُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلـهْ *** لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَـالَـهْ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِـيمَةٍ *** فَالمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ [19]

فالانزياح الثقافي في هذه المقامة كشف عن التوترات المجتمعية، فوصوله إلى بغداد، من اجل الرزق وكسب لقمة العيش،وإذا المفارقة يجد نفسه بين مجموعة من اللصوص ممن يسرقون في وضح النهار،وهم نفسهم يصلون الليل قياما، فهذا يمثل انزياحا ثقافيا_ اجتماعيا فنراه يصور المجتمع من خلال المظاهر الدينية والاستعانة بالموروث الشعبي ،وأيضا نجد في الوقت نفسه انحلال اخلاقي،وعبر الانزياح عن نقده للسلطة الدينية والحاكمة بشكل مضمرا،خوفا منها، ولو رجعنا إلى المقامة نراه يصور سلوكيات الناس والمفارقة بين الظاهر الديني والباطن السلوكي (فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟

فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجُمْعِهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ...) نجده هنا يمارس مقاومة رمزية للسلطة العباسية،والدينية، من خلال السخرية كوسيلة للتأثير وإثارة الوعي النقدي لدى القارئ فلقد وظف الانزياح بشكل واعي جدا وليس بشكل عشوائي وللجمالي فقط.

من جانب أخر نجد هناك صراع ثقافي بين القيم التراثية،والواقع الاجتماعي،وهذا يمثل ابرز الانزياحات الثقافية، ففي المقامة ذاتها يظهر الراوي بمفارقة إلا وهي أن اللصوص يسرقون في وضح النهار، ويقيمون الليل وهذا أن دل على شيء إنما يدل على تأكل القيم الاخلاقية،فالخطاب هنا يمثل انزياح ثقافي يلقي الضوء على الازمة التي تصف بالمجتمع انذاك، واتخذه اداة لتسفيه السلطة الثقافية ويعيد توزيعها بما يراه مناسبا من خلال المقامة،فيحول العالم والمثقف إلى شخصية هزلية ،من خلال شخصية عيسى بن هشام النموذج الأجدر للخداع والتخابل،يعتبره نموذج ثقافي يتم من خلاله زعزعة الثقة بالسلطة والمؤسسات الدينية،وهذا مايجبر القارئ على اعادة النظر في المسلمات عبر الانزياح ، وصولا إلى إستراتجية معينة تنتج من خلالها قارئا وناقدا لا مستهلك للخطاب فقط، ويتم عن طريق ازدواجية الخطاب الثقافي وصولا إلى الوعي النقدي .

الخاتمة:

1- أن الانزياح الثقافي في مقامات بديع الزمان الهمذاني ليست مجرد تزيين لغوي بل اداة جمالية وظفها الكاتب بوعي تام لفضح السلطة الدينية والثقافية والاجتماعية السائدة في العصر العباسي،من خلال تعويض الرموز الدينية والاجتماعية .

2- كشف بديع الزمان عن مجتمع مأزوم يمارس نوعا من المقاومة الرمزية ضد خطاب الهيمنة.

3- نجد أن المقامات تمثل مراة ساخرة لعصرها ومصدرا لقراءة التحولات الثقافية المهيمنة من خلال الانزياح الذي يمثل مقاومة لغوية وثقافية ضد النفاق والادعاء المنتشر في ذلك العصر.

4- أن الانزياحات في مقامات بديع الزمان الهمذاني ليست وليد الصدفة التي نادت بها الاسلوبية بل هو جزء من استراتجية سردية تهدف إلى تقويض التمثلات التقليدية للسلطة الدينية والاجتماعية والثقافية.

5- نتج عن هذا الانزياح دلالات جديدة عكست عن توترات البنية المتمعية في العصر العباسي وإعادة النظر في المفاهيم الاجتماعية والثقافية في ذلك العصر.

6- الانزياح بوصفه الية نقدية -جمالية ذات وظيفة ثقافية يعبر من خلاله عن الخلل الذي تعاني منه المنظومة الدينية والثقافية لا سيما الاجتماعية فجاء الانزياح ليست خروج عن السلطة معنويا فحسب بل احدث انقلاب في المنظومة الثقافية برمتها.

الهوامش:

[1]– اسماعيل شكري،نقد مفهوم الانزياح،مجلة فكر ونقد،بغداد،العدد1999،23،ص81.

[2]– ينظر: بن منظور،لسان العرب، ،دار صادر،بيروت، مجلد 4،ط 4 ،ص86

[3] – ينظر: ابن فارس،مقاييس اللغة،دار الفكر، القاهرة، 1979،ط3،ص39.

[4] – ينظر: عيون السود الزمخشري، اساس البلاغة، تحقيق محمد باسل،دار الكتب العلمية،بيروت،1998،ط1، ص482.

[5] – ينظر: يوسف أبو العدوس، الاسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة،عمان، 2007،ط1،ص 7.

[6] – ينظر: احمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،بيروت ، 2005 ،ط1،ص 7.

[7] – ينظر: يوسف أبو العدوس، الاسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة،عمان، 2007،ط1،ص180.

[8] – ينظر: نور الدين السرج، الاسلوبية وتحليل الخطاب ، دار هومة للنشر والتوزيع،عمان ،الاردن،2007، ص 194.

[9] ينظر: عبد القادر قدار ، شعرية الانزياح في الخطاب الشعري الحداثي في طروحات النقد الايلوبية والتفكيكة: رؤية تنظيرية تاصيلية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، المجلد 2016،العدد3،ص6

[10] – ينظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي،دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ط2007،5،ص119–ص121.

[11] – شرح شعر زهير بن أبي سلمى،تحقيق الدكتور احمد طلعت،منشورات دار الفكر للجميع،بيروت، ط1، 1968:ص 113.

[12] – ينظر: محمد عبد الرحمن أبو ربيع، تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الفكر، عمان،1990،ط1،ص 86.

[13] – ينظر: المصدر نفسه، ص 25– و45.

[14] – ينظر:صدام حسين محمود، مقامات بديع الزمان الهمذاني بين الصنعة والتصنع، اطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ،2006، ص 79.

[15]– ينظر: عمرو فروخ، المنهاج الحديث في الأدب العربي،بيروت ، دار العلم للملايين، ص258، وينظر ايضا ظاهرة المقامات في العصر العباسي الثاني ،دراسة تحليلة ادبية، الفية فتري فريما ساري،جامعة مولانا مالك ابراهيم الاسلامية،2010، ص 31.

[16] – ينظر: حنفاوي بهلبي، مدخل في نظرية النقد الثقافي (المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات) ،الدار العربية للعلوم،بيروت، 2007،ص 26.

[17]– ينظر: شلغوم نعيمة، المكون الثقافي في مقامات بديع الزمان الهمذاني، جامعة عباس لغرور، الجزائر، مجلة العلوم العربية وادابها، المجلد 12، العدد 3،2020، ص77. وينظر: رسالة البنية والدلالة دراسة سيميائية في مقامات ناصيف اليازيجي، عائشة نكمل،جامعة عنابة، الجزائر، 2012، ص 57.

[18]– مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق محمد محي الدين ، المكتبة الازهرية، القاهرة، 1923، ط1، ص 360.

[19] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق محمد عبده، دار الكتب العلمية،المجلد 1 ،2005،ط3، ص8.

المصادر والمراجع:

1. ابن فارس،مقاييس اللغة،دار الفكر، القاهرة، 1979،ط3.
2. احمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،بيروت ، 2005ط1.
3. اسماعيل شكري،نقد مفهوم الانزياح،مجلة فكر ونقد،بغداد،العدد،1999 لسنة،23.
4. بن منظور،لسان العرب، ،دار صادر،بيروت، مجلد 4،ط 4 .
5. حنفاوي بهلبي، مدخل في نظرية النقد الثقافي (المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات) ،الدار العربية للعلوم،بيروت، 2007.

6. رسالة البنية والدلالة دراسة سيميائية في مقامات ناصيف اليازيجي، عائشة نكمل،جامعة عنابة، الجزائر، 2012.

7. شرح شعر زهير بن أبي سلمى،تحقيق الدكتور احمد طلعت،منشورات دار الفكر للجميع،بيروت، ط1، 1968.

8. شلغوم نعيمة، المكون الثقافي في مقامات بديع الزمان الهمذاني، جامعة عباس لغرور، الجزائر، مجلة العلوم العربية وادابها، المجلد 12، العدد 3،2020.

9. صدام حسين محمود، مقامات بديع الزمان الهمذاني بين الصنعة والتصنع، اطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2006.

10. عبد القادر قدار ، شعرية الانزياح في الخطاب الشعري الحداثي في طروحات النقد الايلوبية والتفكيكة: رؤية تنظيرية تاصيلية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، المجلد 2016،العدد3.

11. عمرو فروخ، المنهاج الحديث في الأدب العربي،بيروت ، دار العلم للملايين، ص258، وينظر ايضا ظاهرة المقامات في العصر العباسي الثاني ،دراسة تحليلة ادبية، الفية فتري فريما ساري،جامعة مولانا مالك ابراهيم الاسلامية،2010.

12. عيون السود الزمخشري، اساس البلاغة، تحقيق محمد باسل،دار الكتب العلمية،بيروت،1998،ط1.

13. محمد عبد الرحمن أبو ربيع، تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الفكر، عمان،1990،ط1.

14. مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق محمد عبده، دار الكتب العلمية،المجلد 1 ،2005،ط3، ص8.

15. مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق محمد محي الدين ، المكتبة الازهرية، القاهرة، 1923، ط1.

16. ميجان الرويلي، وسعد البازعي،دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ط5،2007،.

17. نور الدين السرج، الاسلوبية وتحليل الخطاب ، دار هومة للنشر والتوزيع،عمان ،الاردن،2007.

18. يوسف أبو العدوس، الاسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة،عمان، 2007،ط1.